جامعة القاهرة
كلية دار العلوم
قسم: الفلسفة الإسلامية

" شعائر العرفان فى ألواح الكتمان "

للشيخ : محمد وفا الشاذلى

المتوفى عام ٧٦٥هـ

(دراسة وتحقيق)

رسالة مقدمة من

الطالبة: نور الصباح عبدالفتاح محمد محمد العقباوي

لنيل درجة الماجستير

تحت إشراف :

أ.د. مختار محمود عطا الله
مدير مركز البحوث والدراسات الإسلامية
ورئيس وحدة ضمان الجودة

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

ولسوفَ يعطيك ربك فَتَرضى

الضحى (الآية: ٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين نحمده سبحانه ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، وصفيه من خلقه وخليله ، فتح الله به قلوبًا غلفًا ، وآذانًا صمًّا، وأعينًا عُميًا.

وبعد :

فإن الصوفية يرون أن موضوع التصوف الإسلامى – الحق – بناء لاتنفك فيه الشريعة عن الحقيقة ، ولا الحقيقة عن الشريعة ويرون أن التصوف الحق هو الإسلام فى حقيقته ، ويعللون ذلك بأن الإسلام دين يجمع فى جوهره بين شريعة وحقيقة ، بين ظاهر وباطن ويستشهدون بقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ (الأعراف : ٣٣) .

فالإسلام كما يدعو إلى التمتع بالطيبات – كما حددها ظاهر الشرع – فإنه يدعو إلى التصوف باعتباره تصفية النفس من الكدورات ، وتحليتها بالأخلاقيات ، وتذكيرها بفضل الله ، وتطهير القلب، وتصفية بواطنه لأجل صلاح الإنسان ككل .

وهذا ما دعا إليه الكتاب ، وأيدته السنة ، وهو ضرورة الجمع بين العمل للدنيا لتعميرها ، والعمل لأجل الحياة الآخرة .

قال تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾(القصص :٧٧) .

وهو ما يعرف لدى الصوفية بالجمع بين الشريعة والحقيقة وهو علامة الكمال ، وذلك كله بعيدًا عن الصوفية الذين انحرفوا عن هذا المنهج لتحقيق أغراض دنيوية شخصية ، هذا الأمر الذي جعل من التصوف موضوع نقاش وجدال يتجاذب أطرافه المؤيدون والمعارضون . وحقيقة إن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، ومن هنا فإن التصوف الإسلامي لم يزل فى حاجة إلى مزيد من الدراسات التي تبرز جوانبه ، وتكشف عما غمض منها ، وتُعرِّف بالصوفية ، ومناهجهم ، وما اقتربوا منه ، أو ابتعدوا عنه مما جاء به الكتاب والسنة .

ولاشك فى أن من أهم العوامل المعينة على ذلك تحقيق التراث الذى خلَّفه لنا هؤلاء الصوفية والذى يحمل أفكارهم ، ويرصد تطورات الفكر الصوفى فى البيئة الإسلامية ، ولاشك أيضًا فى أن نشر هذا التراث ، وإظهاره للنور يُعَدُّ عملاً إسلاميًا، يجب أن تُكَثَّفَ الجهود من أجل تحقيقه لا للتقوقع فيه ، ولكن لهضمه واستيعابه ورصد الصور المضيئة فيه .

ومن هنا جاءت فكرة البحث الذى يسعى إلى إلقاء الضوء على صفحة جديدة من التراث الصوفى ممثلةً فى شخصية الشيخ" محمد وفا " وأهم آرائه الصوفية ، وذلك من خلال

كتابه " شعائر العرفان فى ألواح الكتمان " ، ومؤلفاتـــه الأخرى ، والتى ســيأتى ذكرهـــا فـــى موضعها .

هذه الشخصية التى لم تنل حظها – حتى الآن – على الوجه الذى يتناسب مع ما خلَّفته من أعمال ثرية بمادة التصوف علمًا وعملاً وهو ما يتضح لمن يطالع هذه الأعمال التى سيأتى ذكرها عند الحديث عن مؤلفاته .

ومن هنا تكمن أهمية هذه الدراسة فى أنها سعت إلى :

١- الحديث عن العصر الذى عاش فيه المصنف (الشيخ محمد وفا) .

٢- التعريف به ، ذلـــك الصوفى الذى رددت المصادر عنه عبارة واحدة عن فهمها له هى أن " له لساناً غريباً فى علوم القوم ... وله رمـــــوزًا فـــــى منظوماتـــــه ومنثوراته مطلسمة لم يَفُك أحد فيما نعلم معناها " [١]

وهذا هو السبب الوحيد الذى جعل مؤلفاته إلى الآن لم يتصدَّ أحد لدراستها وتحقيقهـــا ، ولذا فإنى قصدت إلى محاولة إلقاء الضوء على هذه الشخصية ، وأهم ما تناولته من موضوعات التصوف من خلال تحقيق كتاب " شعائر العرفان فى ألواح الكتمان " .

٣- ومؤلفاته التى لايـــــزال أكثرها مخطوطًا .

٤- شيوخه . ٥- تلاميذه . ٦- ثقافته .

٧- أهم القضايا التى تناولها الشيخ فى كتابه " شعائر العرفان فى ألواح الكتمان " .

٨- تحقيق هذا الكتاب .

ومما دفعنى لهذه الدراسة عدة أمور منها :

١- الرغبة الشديـــدة فى معرفة الكثير عن التصـــوف باعتباره نزعـــة أصـــيلة فـــى الـــنفس الإنسانية ، تدفع الإنسان إلى السمو الروحي ، والتحلي بفضائل الأخـــلاق ، عـــن طريـــق التربية الصوفية التى تدعو إلى التراحم ، والعطف ، والحب بين الناس جميعًا ، وتطهيـــرًا للنفس من أدرانها .

٢- التعرف على الشيخ وأهم آرائه من خلال كتاب " شعائر العرفان فـــي ألـــواح الكتمـــان " باعتباره نموذجًا دالاً على بقية أعماله، مع الاستشهاد بما جاء فى بعض مؤلفاته الأخرى.

٣- صاحب المخطوط نفسه الذي أشار في كتبه إلى صعوبة فهمها ، ومن ذلك قوله :

---

[١] الشعرانـــى (عبدالوهاب بن أحمد بن أحمد بن على الشعرانى المتوفى عام ٩٧٣هـــ) : الطبقات الكبرى ، طبع بمصر " بدون تاريخ " ، ٢ : ١٩ ، ٢٠.

" علومنا هذه تفهم ولا تدرك ، وتعقل ولا تُنقل وتنقش فـــى الأرواح ولا تكتـــــب فـــي الألواح" [١] ممـــا يدل على أنها علوم ذوقية في المقام الأول ثم إمكانية إعادة النظـــر إليهـــا بحثًا ، وفهمًا، ودرايـــة مما دفعني للكشف عن هذه الشخصية ، ومحاولة فهم ما خلَّفته مـــن آثار، مع العلم بأن دقائق هذا العلم – التصوف – منح إلهية لا تتاح إلا لصاحب ذوق .

٤- دور هـــــذا التراث الضخم الذى تركه لنا أسلافنا فى صناعة الثقافة الإسلامية العربيـــة الحديثة ، وحجم احتياجنا للاستناد إلى تراث الأجداد الذى هو أصل لنا ، ونحن فرع منه ، وهذا حقيق بأن نقف أمامه وقفة إجلال وإكبار بتأمل وفهم ، وبحث عمـــلاً علـــى نشـــره وتحقيقه وفقًا للقواعد العلمية لتحقيق التراث .

وقد واجهتنى فى هذا البحث صعوبات كثيرة من أهمها :

١- صعوبة العثور على مؤلفات الشيخ [٢] .

٢- صعوبة فهم المادة العلمية التى خلَّفها ؛ لأنها فى المقام الأول تعتمـــد علـــى الذوق والتجربة لا البحث والعقل وحده [٣].

وقد جاء البحث فى قسمين على النحو التالي :

القسم الأول : الدراسة ، ويتكون من تمهيد وخمسة فصول :

أما عن التمهيد فقد تناولت فيه مايلى :

١- عصر المصنف .

٢- السيرة الذاتية للمصنف : اسمه ، كنيته ، لقبه ، مذهبه ، وفاته ، أسرته .

٣- مؤلفاته .

٤- شيوخه .

٥- تلاميذه .

٦- ثقافته .

---

[١] محمد وفا (الشيخ) : " شعائر العرفان فى ألواح الكتمان " – موضوع البحث .

[٢] بالبحث المكثف لم أعثر على دراسات كافية حول أسلوب الشيخ محمد وفا، وأقصد بذلك الدراسات البحثية الحديثة التى ربمـــا لـــو توفرت كانت الاستفادة أكثر وأقوى لمحاولة الاطلاع على مرامى هذا الشيخ ، ولكنى اعتمدت على أقوال كلها فى الحقيقة مخطوطة أو حتى طبعت بدون دراسة وافية عليها ، وإننى أؤكد أن هذا البحث هو أول بحث علمى دقيق حول نصوص الشيخ " محمد وفا " بـــالرغم من أن هناك كتباً طبعت له .

[٣] راجع حول صعوبة لغته وإشاراته وذوقه كلام ابنه الشيخ (على وفا) وبعده كثير من كتـــاب عصـــره الـــذين ترجمـــوا لـــه ؛ لأن المقصود بالصعوبة أنها ذوق عالى على الأفهام ، ونحن نعبر هنا عن بعض الإشارات لفهم هذه القوانين لا أن نثبت أنها تلغى العقل ، أو عمل العقل والمعرفة الصوفية أداتها " القلب " لا العقل ، فالصوفية يعتبرون القلب مركزاً للإدراك الذوقى أو الفهـــم ، وهـــذا هـــو السبب وراء صعوبة الألفاظ والاصطلاحات التى يعبرون بها عن تجربتهم حتى إنه يكاد يكون لكل شيخ مصطلح يخصه .

انظر فى ذلك : د. أبو العلا عفيفى : التصوف الثورة الروحية فى الإسلام ، دار المعارف ، الطبعة الأولى١٩٦٣ ، ص ٢٥٣ ، ٢٥٤.

وأما فصول الدراسة : فقد تناولت فيها أهم القضايـــا التي تناولها الشيخ " محمد وفـــا " فـــى كتاب " شعائر العرفان فى ألواح الكتمان " وهى على النحو التالي :

الفصل الأول : منهجه في دراسة التصوف .

الفصل الثاني : المقامات .

الفصل الثالث : الأحوال .

الفصل الرابع : وحدة الوجود .

الفصل الخامس : حول مفهوم : أ – الحلول والاتحاد وفكرة التأثر بالمسيحية.

ب – الولاية والحقيقة المحمدية.

القسم الثانى : التحقيق :

وقد اعتمدت فيه على الأصول العلمية ، والقواعد الفنية المتفق عليها فى تحقيق التراث وهى :

أولاً : عنوان الكتاب ، وتوثيق نسبته لصاحبه .

ثانيًا : وصف النسخ التى اعتمدت عليها فى التحقيق .

ثالثـــاً : منهج التحقيق.

رابعًا : منهج الكتاب.

خامسًا : صور ونماذج لمخطوط الكتاب.

سادساً : النص المحقق .

سابعًا : الخاتمة متضمنة أهم النتائج التى انتهى إليها البحث .

ثامناً : مجموعة الفهارس العامة .

وقد اعتمدت منهجًا للدراسة والتحقيق.

وبعد فإنى أستطيع أن أقـــول إنى قد قدمت دراسة تساعد في الكشف عما أراد الشيخ أن يبينه من الناحية الفكرية وتظل الناحية الوجدانية مرتبطة بالتجربة الصوفية ، وذلك لأن طريـــق التصوف يعتمد على التجربة التى يخوض غمارها الصوفي بنفسه ، وحسبى أننى حاولـــت أن أقدم فهمًا ما عن الشيخ من خلال تحقيق كتابه " شعائر العرفان فى ألـــواح الكتمـــان " ، وأهـــم الآراء الصوفية عنده ، فما وفقت فيه فمن الله سبحانه وتعالى وما أخفقت فيه فمن نفسى .

وإنى لأرجو من الله حسن التوفيق والسداد ؛ فهو ولىُّ ذلك والقادر عليه ، وهـــو نعـــم المولى ونعم النصير والحمد لله أولاً وأخيرًا ، وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

عاش " الشيخ محمد وفا " فى القرن الثامن الهجري فى عصر المماليك الممتد من الفترة ما بين (٦٤٨ هـ – ٩٢٣ هـ)

(أ) الحالة السياسية لهذا القرن :

لقد تتابع سلاطين المماليك على عرش مصر زهاء ثلاثة قرون ، وانتهى عهدهم بالاحتلال العثمانى ، وقد كان عصرهم تسوده الاضطرابات الكثيرة ، والفساد السياسي فى كثير من الأحيان ، وذلك بسبب تصارع الحكام وتناحرهم على السلطة ، وانقسموا خلال هذة الحقبة إلى دولتين هما : **الدولة البحرية والدولية البرجية أو الجركسية .**

أولاً : الدولة البحرية : ومؤسسها " عز الدين أيبك " وحكمت نحو ١٣٠ سنة ما بين سنة ٦٤٨ – ٧٨٤ هـ ، وكلمة " البحرية " أطلقت على طائفة من المماليك قبل تأسيس دولتهم وهذه الطائفة هى التى أسكنها سيدها الملك الصالح " نجم الدين الأيوبى " بقلعة الروضة التى كان يحيط بها النيل ، وقد غزت الدولة البحرية جملة غزوات موفقة ، وكبحت جماح التتار فى عدة وقائع فدفعت خطرهم عن مصر دفعًا تامًا ، وكفت من عدوانهم على بلاد الشام . ومن أبرز أمراء هذه الدولة الظاهر بيبرس الذى قضى على التتار فى موقعة "عين جالوت" بعد أن استولوا على بغداد ، ونكلوا بها تنكيلاً ، ومضت زحوفهم ،بل سيولهم تتقدم إلى الشام ، وتعد هذه المعركة من المعارك الفاصلة فى التاريخ إذ صدت التتار نهائيًا عن مصر والشام ، وقد ثبتت أقدام المماليك لا فى حكم مصر وحدها بل فى الشام أيضًا ، ثم رأى " بيبرس " أن انتصار عين جالوت وحده لا يكفى فى تثبيت سلطانه ، وانتهز ظهور أمير عباسي بدمشق فَرَّ من التتار فاستدعاه إلى القاهرة حتى إذا تأكد نسبه إلى بنى العباس بايعه هو والناس بالخلافة فى حفاوة بالغة ، ولم يلبث هذا الخليفة العباسى أن قلده سلطنة مصر والبلاد الشامية وغيرها ، وبذلك ثَبَّت عرشه ووطد سلطانه ضد أى محاولة قد يحاولها أحد الأيوبيين لاستعادة ملك آبائه ثم توفى سنة ٦٧٦ هـ بدمشق ، ودفن بها ، ولقد تولى بعده عدة أمراء من المماليك أبرزهم السلطان المنصور قلاوون الذى توفى سنة ٦٨٩ هـ وظل الملك فى أبنائه وأحفاده نحو مائة عام [١] .

ثانيا : دولة المماليك البرجية أو الجركسية : هى الدولة الثانية التى خلفت المماليك البحرية ، وأصل ملوكها من الجنس الجركسي ، ويسمون المماليك البرجية ؛ لأنهم كانوا يسكنون أبراج القلعة ، وهذه الفرقة كوَّنها السلطان المنصور" قلاوون " وقد اشتراهم ليكونوا سندًا ، ودعامة له ولأولاده ضد منافسيه من كبار الأمراء وبالفعل فقد كانوا بمثابة دعامة كبرى دافعت عن مصالح

---

[١] د . شوقى ضيف : عصر الدول والإمارات ، دار المعارف – مصر ، ط ٢ ، بدون تاريخ ، ص : ٣٤ ، ٣٥ ، وانظر : عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي : محمود رزق سليم ، مكتبة الآداب بالجماميز – مصر ، طبعة ١٣٦٦هـ – ١٩٤٧ م ، ص : ١٦ ، ٢٢ ، ٢٧ " بتصرف " ، العصر المماليكى فى مصر والشام : د . سعيد عبدالفتاح عاشور ، دار النهضة " بدون تاريخ " ، ص : ٣ – ٥ .

أبنـــاء المنصـــور" قـــلاوون " ودولـــة الجـــراكسة عمـــرت أكثـــر مـــن مائـــة وثلاثـــين سنة (٧٨٤-٩٢٢ هـــ) تعاقب على عرش السلطنة خلالها ثلاثة وعشرون سلطانًا من سلاطين المماليك الجراكسة منهم " برقوق " ، و" قايتباى" ، وقد عُرف هؤلاء بحبهم لـــلأدب ومجـــالس العلم ، كما عرف بعضهم بالتقوى والورع الأمـــر الذى تشهد عليه مؤسســـاتهم الخيريـــة مـــن مدارس ، ومساجد ، وسبل ومشافٍ وغيرها ، وربما كانت هذه المؤسسات ستارًا حاول بعـــض هؤلاء السلاطين التكفير عن ذنوبهم وتغطية ما قاموا به من أعمال ضد خصومهم ولا شك فى أن البلاد قاست كثيرا فى عهد المماليك الجراكسة من جراء المنازعات المستمرة بين طوائـــف المماليك ، و ما كان ينجم عن تلك المنازعات من حوادث ، وقتال فى الشوارع مما أوجد جـــوًّا من القلق وعدم الاستقرار فى القاهرة بوجه خاص ، وزاد من شدة البلاء أن السلاطين عجـــزوا فى ذلك العصر عن كبح جماح مماليكهم مما جعلهم لايجدون وسيلة للاحتفاظ بمراكزهم ســـوى ضرب طوائف المماليك بعضها ببعض[١]

(ب) الحالة الاجتماعية فى القرن الثامن [٢]:

عاش المماليك فى مصر فى طبقة منفصلة عن سائر سكان مصر فساعد ذلك على قيـــام نظـــام طبقى مكون من ثلاث طبقات :

الطبقة الأولـــى : طبقة الحكام ، وهى الطبقة العليا ، وكانت تعيش منفصلة عن الشعب فى جزيرة الروضة أولاً ثم الجبل على ما هو معروف عن المماليـــك البحرية والبرجية ، وقد ظلوا محافظين على طبقتهم فهم لا يختلطـــون بالشعب ودائمًا كانوا يعملون على تنميـــة أنفســـهم بعناصـــر جديـــدة يستوردها لهم النخَّاسون من أحداث الرقيق المجلوب غالبًا ، وكـــانوا يدربونهم فى القلعة ويعدون لهم أساتذة يعلمونهم حتى إذا شبوا توزعهم أمراء المماليك مكونين منهم فرقـــًا عسكرية .

الطبقة الثانية : طبقة وسطى من كبار التجار .

الطبقة الثالثة : طبقة دنيا من الفلاحين و العامة .

---

[١] ينظر : عصر الدول و الإمارات ، ص ٣٤ -٣٩ ، العصر المماليكي فى مصر و الشام ، ص : ١٣٧ ، عصر سلاطين المماليك ص : ٥١-٥٢ ، الأيوبيين و المماليك فى مصر و الشام ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، ص : ٢٨٨ .

[٢] ينظر : عصر الدول و الإمارات ، ص ٤٤-٥٣ ، العصر المماليكي فى مصر والشام ، ص ٣٠٨-٣٠٩ و ما بعدها .

(جـ) الحالة الاقتصادية :

أهم ما يميز عصر المماليك أنه عصر إقطاع ، وكأنما حرم أصحاب الأرض الحقيقيون من تملك الأرض ، ويملكون المماليك الأرقاء ، و كانوا كثيرًا ما يفرضون عليهم غير الضرائب العادية ، وكان النظام فى هذه الفترة يجعل للفلاح نصف المحصول ، وللمالك نصفه الآخر ، ويبدو أن أصحاب الإقطاعيات كثيرًا ما كانوا يظلمون الفلاحين على أن تسلط المماليك على الأرض والزراعة جعلهم يعنون بالجسور ، وبنظام الري ، و بالثروة الزراعية عامة وكذلك بالثروة الحيوانية ، وكانت الدولة تشتري كثيرًا من المحاصيل ، وتعيد توزيعها على تجار التجزئة حتى تمنع المضاربات التجارية [١]

وكانت الصناعة مزدهرة أيام المماليك ، فقد كانت تعد أيامهم أيام ترف فى بناء القصور الباذخة ، وفى كل شئون الزينة فازدهرت صناعة الملابس والفرش والأثاث ، والجلود ، والحلى ، والمعادن ، والزجاج الملون ، وكانت الدولة تهتم بصناعة الأسلحة وسفن الأساطيل، وكل ذلك عمل على ازدهار الصناعات ومما يدل على هذا الازدهار أن وجد لكل فئة من الصناع نقابة خاصة تنظر فى شئونهم فيما بينهم وبين أنفسهم ، كذلك فيما بينهم وبين الشعب من جهة ، والحكومة من جهة ثانية [٢]

وازدهرت التجارة كذلك ، وكانت أكثر ازدهارا ونشاطًا ؛ لأن مصر حينئذ كانت تمسك بالشطر الأكبر من التجارة العالمية بين الشرق والغرب ، وبعبارة أخرى بين الهند وشرقي أسيا ، وبين أوربا مما جعلتها تعقد شبكة من المعاهدات بينها ، وبين جمهوريات إيطاليا التجارية ، فضلا عن بقية ثغور البحر المتوسط ، وجزره ، وكانت الدولة تحصل على دخل ضخم من هذه التجارة ، حتى إذا سقطت أهمية طريق مصر إلى الشرق ، باكتشاف " فاسكو دي جامَا " لطريق رأس الرجاء الصالح سنة ٩٠٣ هـ كان ذلك إيذانا بانتهاء دولة المماليك فى مصر ، واستيلاء العثمانيين عليها ، ولعل فى هذا كله ما يدل على مبلغ الثراء الذي كانت تحياه هذه الدولة من طرق مختلفة من التجارة ، وأراضى الأوقاف ، فقد تزايدت زيادات كبيرة بحيث كانت مصدرًا أساسيًا من مصادر دخل الدولة ، وهذا الثراء أعدَّها لتنهض نهضة كبيرة بالحركة العلمية وبفن العمارة .[٣]

---

[١] ينظر : عصر الدول و الإمارات ، ص ٥٤ ، العصر المماليكي فى مصر و الشام ص ٣٩٦.

[٢] ينظر : عصر الدول و الإمارات ص ٥٤ ، العصر المماليكي فى مصر و الشام ص ٢٧٨.

[٣] ينظر : عصر الدول و الإمارات ص ٥٤ ، العصر المماليكي فى مصر و الشام ص ٢٨٤ .

(د) النهضة العلمية فى القرن الثامن [١]:

تعد أيام المماليك من أزهى أيام مصر الإسلامية إن لم تكن أزهاها ؛ فقد ورثت الخلافة عن بغداد وتوافد عليها العلماء والأدباء من العراق ، وما وراءه فارِّين من التتار ، وكانت الأندلس تمر بأيامها الأخيرة ، فوفد عليها أدباؤها وعلماؤها ، كما وفد من قبل علماء صقلية وأدباؤها ، وبذلك كله كانت مصر منذ عصر الأيوبيين موئل العروبة والإسلام ، وظلت بها ثلاث طبقات متقابلة طوال زمن المماليك ، فقد شهد هذا العصر نشاطًا علميًا كبيرًا ، ويدل على ذلك التراث الضخم من موسوعات أدبية ، وكتب تاريخية ، ومؤلفات فى العلوم الدينية تركها علماء ذلك العصر ، وقد كثرت المدارس فى ذلك العصر ، ومنها : المدرسة الظاهرية للظاهر " بيبرس " و المدرسة المنصورية للمنصور " قلاوون " ، والمدرسة الناصرية لابنه " الناصر بن " قلاوون " ولم تكن المدارس وحدها ساحات العلم فى عهد المماليك ، بل كانت يشركها الجوامع ، والمساجد ، وفى مقدمتها " الجامع الأزهر " الذى تعطلت فيه الدراسة طوال عهد الأيوبيين إلى أن أعادها " عز الدين الحلى " نائب " بيبرس " سنة ٦٦٥ هـ ، واهتم به السلاطين والأمراء ؛ فرصدت له أوقاف كثيرة على مر السنين كما نهضت مصر بدور مهم فى حماية العلوم ، فقد رأت من واجبها أن تعني بتدوين كل ما خلفه السلف خوفاً من ضياعه ، و خاصة أمهات التراث العربي وأصوله ، وانتهجت لذلك نهجًا سديدًا فى توثيق روايتها وأخذها عمن حرروا صياغتها وضبطوها أدق ضبط ، كما امتازت الحركة العلمية لعهد المماليك بكتابة دوائر معارف كبرى تجمع مواد فنون كثيرة ، ومن هذا كله يتضح حجم النشاط العلمي الذي شهده عصر المماليك[٢]

---

[١] ينظر : عصر الدول و الإمارات ، ص ٤٤ – ٥٣ ، العصر المماليكى فى مصر والشام ، ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ وما بعدها .

[٢] ينظر : عصر الدول و الإمارات ، ص ٨٤–٨٦ و ما بعدها العصر المماليكي فى مصر و الشام ص ٣٢٩ ، وما بعدها .

يعتبر الشيخ " محمد وفا الشاذلي " (٧٠٢-٧٦٥هـ / ١٣٠٢ – ١٣٦٤م) هو مؤسس الطريقة الوفائية بمصر ، وهي خلاصة الطريقة الشاذلية ، وفرع عنها.

اسمه : محمد بن محمد (النجم) بن محمد السكندري رأس (الوفائية) ووالدهم بمصر ، مغربي الأصل .

كنيته : أبو الفضل أو أبو الفتح [١] ، وقيل أبو التداني [٢].

لقبه : ذكر صاحب " جامع كرامات الأولياء " أنه لُقِّب بوفاء ، لأن بحر النيل توقف فلم يزد إلي أوان الوفاء ، فعزم أهل مصر علي الرحيل ، فجاء إلي البحر ، وقال : " اطلع بإذن الله تعالي ؛ فطلع ذلك اليوم سبعة عشر ذراعًا ، وأَوْفَي ، فسموه وفا . [٣]

وأرى أن العقل قد لا يقبل ذلك مباشرة لكنهم يشيرون فى كتبهم إلى أنها أمور فوق طور العقل ، وليس الأمر فى الحقيقة ثابتًا عند كل الناس أو حتى الكثير منهم مما يشير إلى أنها تفردات تخص صاحبها ، من باب كرامات الأولياء التى لا يستطيع أحد إنكارها لثبوتها بالكتاب والسنة ، وآثار الصحابة رضوان الله عليهم ، وإقرار جمهور العلماء بوجودها ، ذلك لأن كرامات الأولياء إنما حصلت ببركة اتباع رسول الله ﷺ ، وهى تدخل فى الحقيقة فى معجزات الرسول ﷺ ، وهى أيضاً تثبت بدلائل العقل ؛ لأنها أمر يمكن حدوثه ، ولا يؤدى إلى ارتفاع أصل من أصول الدين [٤] .

وكان الإمام الشاذلى يرى أن الكرامة الحقيقية فى حصول الاستقامة والوصول إلى كمالها ومرجع ذلك لأمرين هما : صحة الإيمان بالله – عز وجل – ، واتباع ما جاء به رسول

---

[١] الزركلي (خير الدين بن محمود بن محمد المتوفى عام ١٣٩٦هـ) : الأعلام، ط٢، " بدون تاريخ "، ٢ :٢٦٣ وينظر : حاجي خليفة : كشف الظنون ، دار الفكر " بدون تاريخ "، ٤ : ٣٥ ، وفي مخطوط " إماطة نقاب الغيب عن وجوه رجال الغيب " نسبت كنية أبو الفتح للسيد فتح الدين محمد وفا ، وهذا هو الراجح ، ومما يؤكد ذلك ما جاء في مخطوط " المنح الإلهية في مناقب السادات الوفائية " علي لسان كاتبه : " سمعت سيدى أبا الفتح رضي الله عنه يقول : " أنه دخل علي سيدي الكبير قريب الانتقال ، فوجده علي صورة سيدي علي ... " محمد مرتضي الحسيني (الشيخ) : إماطة نقاب الغيب عن وجوه رجال الغيب ، رقم :(٢٠١٧) تاريخ ، مخطوط دار الكتب المصرية ، ص : ٤٣ ، أبو اللطائف (الشيخ) : " المنح الإلهية فى مناقب السادات الصوفية، رقم : (١١٥١) تاريخ ، مخطوط دار الكتب المصرية،ص : ٤٠.

[٢] البكري (محمد توفيق) : بيت السادة الوفائية، " بدون تاريخ "، ص: ٤٣ ، وكذلك مخطوط " إماطة نقاب الغيب عن وجوه رجال الغيب "، مخطوط دار الكتب ، رقم (٢٠١٧) تاريخ ، ص: ٣٥.

[٣] النبهاني (يوسف بن إسماعيل ١٢٦٥ – ١٣٥٠) : جامع كرامات الأولياء ، تحقيق : إبراهيم عطوة عوض ، دار الفكر " بدون تاريخ "، ١ : ٢٣٧ .

[٤] انظر : أ . د. العبد (عبداللطيف محمد) : التصوف فى الإسلام وأهم الاعتراضات الواردة عليه ، دار الهانى – القاهرة ، الطبعة الرابعة ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م ، ص : ٢٥٢ .

الله ﷺ ظاهراً وباطناً ، وأما الكرامة بمعنى خرق العادة فلا عبرة بها عند المحققين ، فقد يرزق بها من لم تكمل استقامته ، وقد يرزق بها المستدرجون .[١]
وكرامة الولى قد تكون بإجابة دعوة ، وتمام حال ، وقوة على فعل ، وكفاية مؤنة ، يقوم لهم الحق بها [٢]

مذهبه : لم يؤثرعنه أنه ممن تقلب في المذاهب الفقهية ،والذي أثر عنه أنه مالكي المذهب [٣]
وفى " طبقات الشاذلية " أنه سلك طريق أبي الحسن الشاذلي رحمه الله علي يد الشيخ الكبير داود بن باخلا ، ثم توجه إلي إخميم ، فتزوج بها ، وأنشأ زاوية كبيرة ، ووفدت عليه الناس أفواجًا ، فرادي وأزواجًا ، ثم سار إلي مصر ، وأقام بالروضة مبتهلاً بالعبادة ، مشتغلاً بذكر الله تعالي، ثم سكن القاهرة ، [٤] وكثر أصحابه ، وأقبل عليه أعيان الدولة . [٥]
قال عنه الشعراني في " الطبقات "
" العارف بالله تعالي الشيخ " محمد وفا " رحمه الله ، كان من أكابر العارفين ، وأخبر ولده علي رحمه الله أنه هو خاتم الأولياء ، صاحب الرتبة العلية ، وكان أميًّا ، وله لسان غريب في علوم القوم ، ومؤلفات كثيرة ألَّفَها في صباه فضلاً عن كونه كهلاً ، وله رموز في منظوماته ومنثوراته مطلسمة إلي وقتنا هذا لم يفك أحد فيما نعلم معناها .... وسئل ولده علي رحمه الله مع علوِّ مقامه ، وفرقانه أن يشرح شيئًا من تائية والده فقال رحمه الله لا أعرف مراده ؛ لأنه لسان أعجمي علي أمثالنا " .[٦]

وهذا الكلام قد تمجه بعض العقول ولا تقبله ، ولكنهم (أهل التصوف) يثبتونه على أنه من المنن والكرامات ، ومن باب قوله تعالى " يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ" (**البقرة : ١٠٥**)
وقد أنشأ قصائده عليَ طريقة ابن الفارض وغيره ، واجتمع عليه خلق كثير يعتقدونه ، وينسبون إليه . [٧]

ولما دَنَتْ وفاته كان عليٌّ ولده حَمْلاً ، فخلع ناطقته علي الإبزاري بالإسكندرية، وقال: هذه عندك لعليٍّ حتي يبلغ ، فعمل الإبزاري الموشحات النفيسة حتي كبر عليٌّ ، فخلعها عليه ، فلم يمكنه عمل بيت واحد بعد ذلك . [٨]

---

[١] انظر د. النجار (عامر) الطرق الصوفية فى مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، طبعة ٢٠٠٤ ، ص : ٣٦١ .

[٢] الكلاباذى : (أبو بكر محمد بن إسحاق ، المتوفى ٣٨٠هـ – ٩٩٠م) : التعرف لمذهب أهل التصوف ، تحقيق : د : عبدالحليم محمود ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط ١ ، ١٤٢هـ – ٢٠٠٤م ، ص٧٤.

[٣] انظر : كحالة (عمر رضا): معجم المؤلفين ، ٣ : ٦٨ ، والزركلي : الأعلام ، ط ٢ ، ٧ : ٢٦٧ .

[٤] انظر: الكوهن الفاسى (أبو علي الحسن بن محمد قاسم الكوهن الفاسي المغربي المتوفى عام ١٣٤٧هـ) : طبقات الشاذلية الكبري، دار الكتب العلمية (بيروت – لبنان) ، ط ٢ ، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥، ص ١٠٠ ، ١٠١ .

[٥] انظر : الزركلي : الأعلام، ط ٢ ، ٧ : ٢٦٧ .

[٦] الشعراني : الطبقات الكبري ، ٢ : ١٩ .

[٧] العسقلانى (أأبو الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى الشافعى ٧٧٣هـ – ٨٥٢ هـ) : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، دار الجيل " بدون تاريخ " ٤ : ٢٧٩.

[٨] المناوى (عبد الرءوف) : الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ، تحقيق د . عبد الحميد صالح حمدان ، ، المكتبة الأزهرية للتراث طبعة ١٩٩٤ – ١٩٩٥م ، ٢ : ٦٦ .

ولم تختلف المصادر في تحديد وفاته إلا في مصدرين أو أكثر. [١]

ودفن بالقرافة بين ضريح الأستاذ الشيخ " أبي السعود بن أبي العشائر" ، والشيخ " تاج الدين بن عطاء الله رحمه الله بإشارة منه إذ قال: " ادفنوني بين سعد وعطاء ". [٢]

أسرته :

مما جاء فى كتاب " النفحة الرحمانية " للزرقانى . أن أسرة الشيخ " محمد وفا " تعد من الأسر العلمية في تاريخنا الإسلامي ، ولها مساحة شاسعة فيه ، ولها من الأخبار ، والآثار ما يبهر الناظر ، ويسر الخاطر ، لاسيما وأنها كانت في سيرتها العملية – فضلاً عن العلمية – أنموذجًا للأسرة المسلمة المباركة الفاعلة ، فكانت أسوة وقدوة ، ومثلاً لأبناء الأمة يحتذون بحذوها ، ويهتدون بهديها ، ولذا اعتني المؤرخون بتدوين أخبار هذه الأسرة المباركة ، وأفرد بعضهم تاريخها ، وتراجم أعيانها بالتصنيف كالإمام " أبي اللطائف " في كتاب " المنح الإلهية في مناقب السادات الوفائية " (١١٥١) تاريخ ، والزرقاني في " النفحة الرحمانية في تراجم السادات الوفائية "، والشيخ محمد توفيق البكري في " بيت السادة الوفائية بالديار المصرية " [٣].

وأصل هذه الأسرة مغربي ، وأول قادم من صفاقس بتونس إلي الإسكندرية جده "محمد النجم" رحمه الله صاحب الأحوال الباهرة ، والكرامات الظاهرة ، وقد استوطن الإسكندرية ، وطابت له الإقامة بها ، ورزق فيها بابنه محمد الأوسط أبي الشيخ " محمد وفا " وأقام بالزاوية النجمية [٤].

ويأتي علي رأس هذه الأسرة :

محمد الأوسط : والد الشيخ " محمد وفا " وكان مشهورًا بالولاية ، ومن أصحاب العلم والفضل ، وتوفي رحمه الله شابًّا ، ودفن بزاويتهم المعروفة بالزاوية النجمية ، نسبة لوالده " محمد النجم " المدفون بها بثغر الإسكندرية .

ولما توفي الشيخ " محمد وفا " رحمه الله ترك وَلَديه : علي وفا ، وشهاب الدين أحمد . [٥]

---

[١] ذكر صاحب " الكواكب الدرية " أنه توفي سنة ٧٦٠هـ ، وكذلك جاء في " جامع كرامات الأولياء " ، واضطرب صاحب كشف الظنون في تحديدها ، فمرة يذكر أنه توفي سنة ٧٦٠هـ ، ومرة يذكر أنه توفي سنة ٧٦٥ ، وكذا فعل بروكلمان في " تاريخ الأدب العربي " ، ترجمة : أ.د . محمود فهمى حجازى ، ٦ : ١٠ ، ١١ ، ٢١ ، ٤٩٠.

[٢] الكوهن الفاسي : طبقات الشاذلية الكبري ، ص : ١٠١ .

[٣] انظر الزرقانى (عبد الباقي بن يوسف بن أحمد شهاب الدين بن محمد بن علوانى الزرقاني المالكى ، المتوفى عام ١٠٩٩) : النفحة الرحمانية في تراجم السادة الصوفية ، تحقيق : بسام محمد بارود دار الفتح للدراسات والنشر، ط ١ ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤ م ، ص ٥ ، ٦ .

[٤] الكوهن الفاسى : طبقات الشاذلية الكبري ، ص:١٠١ ، وينظر : " الطريقة الشاذلية وأعلامها " ، د . درنيقة (محمد أحمد) المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط ١ ، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠ م ، ص:١٧٩.

[٥] المرجع السابق : ص:١٠١ .

علي وفا رحمه الله : (**٧٥٩هـ - ٨٠٧ هـ**)

كان صغيرًا عندما مات أبوه ، فنشأ مع أخيه في كفالة وصيهما الشيخ محمد الزيلغي ، ولما بلغ من العمر سبع عشـــرة سنة جلس مكان أبيه ، وشاع ذكره في البلاد، وكثر أتباعه ومريدوه . [١]
وهو شاذلي ، مالكي ، صوفي اشتهر قدره ، وعلا ذكره.
وعظ وذكَّر وهو شاب ، واجتهد ودأب ، ونظم ونثر [٢]
اشتهر بتأنقه فى ملبسه ومأكله حتى أن بعض الوزراء قد أنكر عليه شدة عنايته بمظهره .
برع فى التفسير والفقه ، ونظم الشعر . توفى ٨٠٧هـ – ١٤٠٤م .

له من الكتب :

مفاتيح الخزائن العلية فى التصوف ، تفسير القرآن ، الباعث على الخلاص فـــى أحـــوال الخواص ، الكوثر المترع من الأبحر الأربع فى الفقه ، المسامع الربانية فى التصـــوف ، خزينة الفضائل ، بغية الرائد ، ديوان شعر يضم العديد من الموشحات[٣] .

أحمد شهاب الدين أبو العباس بن محمد وفا رحمه الله

(٧٥٦-٨١٤ هـ -١٣٥٥ – ١٤٢١م)

ولد بظاهر مصر سنة ست وخمسين وسبعمائة ، ونشأ علي طريقة حسنة ملازمًا للخلوة [٤] وكان رحمه الله عارفًا جليلًا ، وسيدًا نبيـــلاً ، وكـــــان أخـــوه علي وفا يقول عنه : "هذا خزانة العلم ، وأنا أنفق منها ".
وكانت وفاته سنة أربع عشرة وثمان مائة.

هذا وينتهي نسبهما إلي الأدارسة سكان المغرب الأقصي وأحوازه ، أولاد الإمـــام الحسن بن علي بن أبي طالب رحمهما الله ، وجدهم الشيخ إدريس الأكبـــر–رحمـــه الله – المتوفى سنة مائـــة وخمس وسبعيـــن عـــن ولـــده إدريس الأزهـــر منشـــئ مدينـــة فاس رحمه الله [٥] .

---

[١] المرجع السابق.

[٢] انظر : الزرقاني : النفحة الرحمانية في تراجم السادات الوفائية ، ص:٤٦.

[٣] المناوى : الكوكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية ، ص ٢٦٦ ، وينظر " الشعرانى ": الطبقات الكبرى ، ٢ : ٢٧.

[٤] الزرقاني : " النفحة الرحمانية في تراجم السادات الوفائية " ، ص : ٧٩ .

[٥] د. درنيقة (محمد أحمد) : " الطريقة الشاذلية وأعلامها " ، ص ١٤٢ .

٣- مؤلفاته :

يتضح لكل من يطالع مؤلفات الشيخ " محمد وفا" أنها تحتاج لكثير من التأمل ، والتبصر ، ومراجعة قراءتها مرة بعد مرة ؛ ليتمكن من فهمها والوقوف على مرادها ؛ وذلك لغلبة الرمزية عليها مما أدى إلى استغلاق معانيها على كل من ليس له دراية بلغة الصوفية وإشاراتهم.

هذا وقد ترك الشيخ " محمد وفا " عددًا لا بأس به من الكتب الفريدة من نوعها ، ومع ذلك فإن معظمها لا يزال مخطوطًا ، و محفوظًا بخزانات دور الكتب في جميع أنحاء العالم ، بالرغم من شهرة صاحبها ، وجدة تناوله في مؤلفاته التي تتسم بالعمق لا التسطح ، ويحتاج من يقرأها إلي طول تأمل وروية ؛ ليمكنه إدراك ما تشير إليه من دلالات ومفاهيم ، وذلك لأن صاحبها له ذوق متفرد ، ومشرب خاص في تناول الموضوعات التي تناولها غيره ، فالكل يتكلم علي حسب مشربه ومقامه ، وصفاء معاملاته التي توجب له ذوق المعاني .

كما تتسم جميع مؤلفاته كذلك باستغلاق معانيها ، وطلسمة ألفاظها .

وقد أخبر ولده علي رحمه الله عن أبيه أن له لساناً غريباً في علوم القوم ، وأن له رموزاً في منظوماته ومنثوراته مطلسمة لم يفك أحد معناها [١] .

وقد سئل ولده"علي" عن تفسير شيء منها فقال: " كلام سيدي بالنسبة إلي مِثْلي كأنَّه أعجمي ، والله ما أفهم منه شيئًا لعلو مراتبه ".[٢]

وهذا ما يعرف لدى الصوفية (بالعرفان) أو (الكشف الصوفى) ولا يصل إليه إلا من بلغ درجة عالية فى سلم الطريق ، وحيئنذ يمكنه الحصول على معرفة مباشرة بغير وسائط من مقدمات أوقضايا أو براهين[٣].

---

[١] الكوهن الفاسي المغربي: طبقات الشاذلية الكبرى ، ص:١٠١.

[٢] الشعراني : الطبقات الكبرى ، ٢ : ٤٧٥ .

[٣] انظر : أ .د : عبداللطيف العبد : التصوف فى الإسلام وأهم الاعتراضات الواردة عليه ، ص : ٩٤ .
" فمن كان لله ؛ كان الله له ، ويصير متعرضًا لنفحات رحمة الله ، وليس له اختيار في استجلاب هذه النفحات ، فالأولياء إذا صدقت إرادتهم في طلب الحق وعلت همتهم ، وحسنت موافقتهم لأمره ونهيه ؛ لمعت حينئذ لوامع الحق ، في قلوبهم ، وارتفع الحجاب عنها بلطف خفي من الله تعالي ؛ فينكشف ما كان غيبًا ويدركون الأمور علي حقيقتها ؛ لأنهم وصلوا إلي درجة كون الحق سمعهم وبصرهم ، وصارت قلوبهم وعاء صافيًا لتلقي العلوم الإلهية " فمن قام بالله ، فهو به وله حالاً ، ومالاً ، والعلم إذ هو فيض من نوره يقذفه في قلب من يشاء ظاهرًا وباطنًا ".
محمد وفا (الشيخ) : إماطة نقاب الريب عن وجوه رجال الغيب ، مخطوط (٢ مجاميع) ، تصوف ، دار الكتب المصرية .